الحقائق المشرقة في التفرد والتفوق السعوديَّيْن تنمية وتطورا

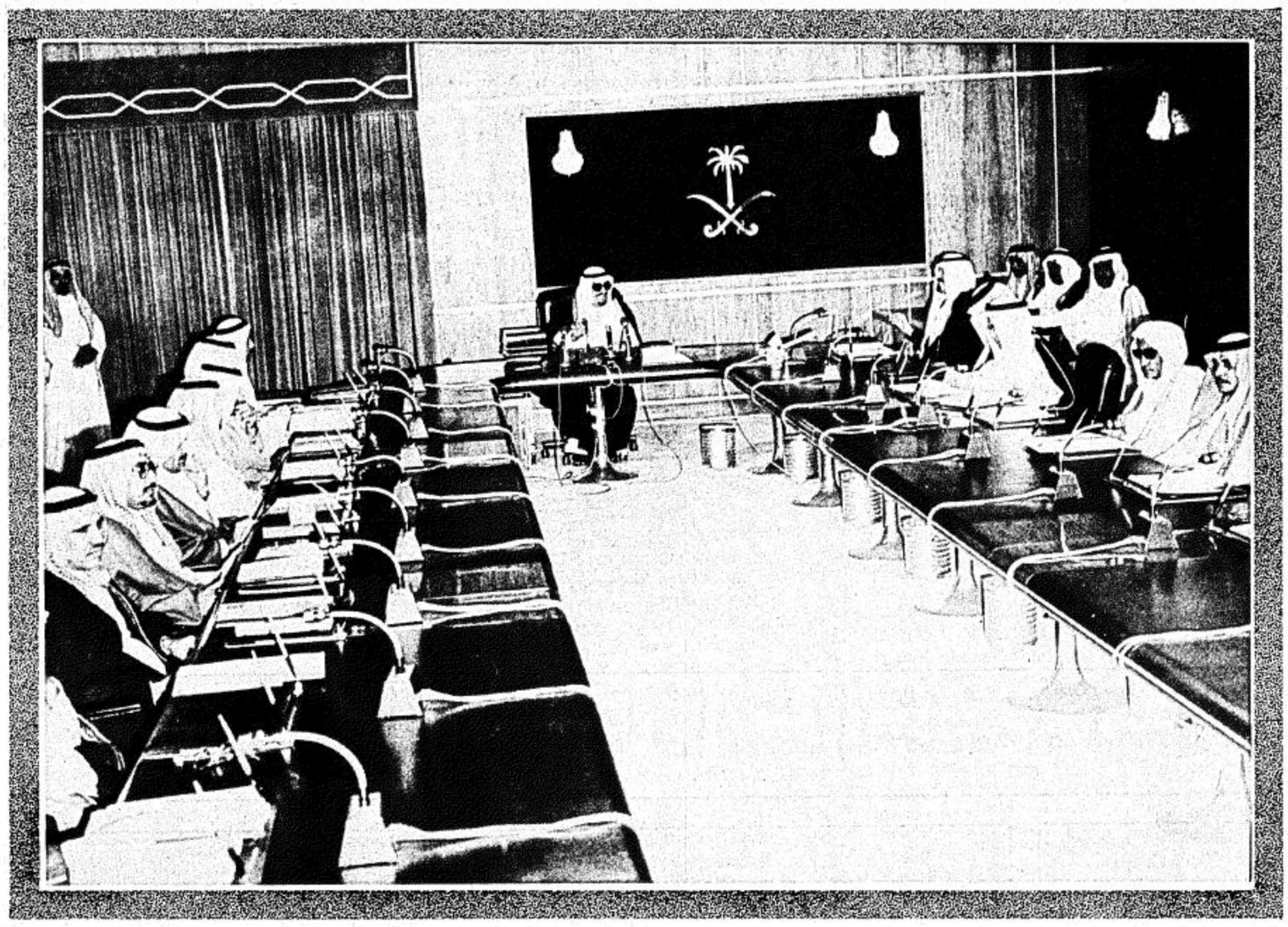

■ كتب/ محرر الشؤون الاقتصادية بالجزيرة.. ان الخمس عشرة سنة الماضية والتي كانت بالنسبة للمملكة، سنوات الخطط الخمسية الثلاث التي انتهت بنهاية يوم ١٤٠٥/٦/٣٠هـ. كانت هذه السنوات الخمس عشرة سنوات قحط عالمي، وسنوات اطول ركود يشهده الاقتصاد العالمي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، هز اقتصاديات كل دول العالم الغنية قبل الفقيرة، والمتقدمة ، قبل المتخلفة.. وبسبب القحط والركود الاقتصاديين العالميين طوال تلك السنوات شهدت العلاقات الدولية تدهورا مريعا حتى بين الاقربين وللتحالفين، كما شهدت الدول نفسها ومن داخلها ازمات ومشكلات وصلت في بعض الحالات الى درجة نشوب حروب اهلية بسبب تفاقم الضوائق المعيشية وعجز الحكومات هنا وهناك عن ايجاد الحلول الصحيحة للمعادلة الاقتصادية الصعبة، معادلة الانفاق على التنمية، والانفاق على المعيشة والخدمات، وادى كل ذلك الى اضطراب حبل الامن داخل كثير من الدول وفيما بين كثير من الدول.. وانتشرت بسبب ذلك في كثير من المجتمعات الدولية انواع لم تكن مألوفة من جرائم القتل، وجرائم المال، لان قطاعات كثيرة من الشعوب التي قهرتها المعاناة الطويلة، واصيبت بخيبة امالها في قياداتها وحكوماتها لجأت الى اخذ القانون بايديها.. والى تلبية مطالبها بوسائلها الخاصة.. ومن بينها الجريمة بل الاخطر من هذا ان كثيرا من الشعوب في محك التجارب المعيشية والاقتصادية الفاشلة ومعاناتها القاسية لم تفقد فقط ثقتها في مصداقية زعمائها وحكامها بل فقدت حتى ايمانها بموروثاتها الحضارية الروحية والمادية فوقعت للاسف فرائس سهلة في شراك المذاهب الفلسفية المادية البحتة بل الملحدة. فانتشرت بين كثير من اجيال الشباب في تلك الدول والشعوب تعاليم تلك المذاهب المادية الملحدة واصبحت المشكلة في تلك الدول والشعوب مشكلتين.. اقتصادية واخلاقية في ان واحد..

ولعلنا نعرف ونشاهد ونسمع الكثير مما يجري في انحاء مختلفة من العالم الخارجي عن ذلك كله ويؤكده..

المملكة شيء اخر تماما

وفي غمرة هذه الاوضاع الدولية المتردية في مهاوي الفقر والتخلف، ومهاوي الضياع الروحي للشعوب وخاصة اجيالها الشابة، نلتفت الى المملكة كدولة من الدول ليست معزولة عن العالم الخارجي من حولها.. وليست منغلقة على نفسها نجد ان المملكة شيء اخر تماما..

ما حدث في المملكة خلال نفس الفترة

نعم، نجد ان المملكة خلال نفس فترة السنوات الخمس عشرة الماضية التى شهدت اطول فترة قحط وركود اقتصاديين، واسوأ حالات الاضطرابات السياسية والامنية داخل الدول نفسها او فيما بين بعضها البعض، نجد ان المملكة كانت الدولة الوحيدة في كل العالم التي تنعم بتطور اقتصادي، ورخاء معيشي، واستقرار امني، وسلام اجتماعي، وكل هذا جعل من المملكة محط اهتمام كل زعماء، وحكومات، وشعوب دول العالم، ومحل تساؤلات ملحة لا تنتهي عن سر أو اسرار هذا التفرد السعودي العجيب بالنمو، والتطور والرخاء والامن، والسلام والاستقرار، في عالم يغلي كالبركان من اقصى شماله لاقصى جنوبه، ومن اقصى غربه لاقصى شرقه.. عالم يأكل فيه الكبير الصغير، ويزداد فيه الغني غنى، كما يزداد فيه الفقير فقرا..؟!

تنمية مذهلة، وخدمات فائقة

وقبل ان نحاول الاجابة على التساؤل او التساؤلات العالمية عن اسرار تفرد المملكة بالنمو والتطور والامن والسلام والرخاء والاستقرار، يتعين ان نذكر ولو بايجاز شيئا عن هذا النمو والتطور والرخاء والامن والسلام في المملكة خلال فترة السنوات الخمس عشرة الماضية، كمدخل منطقي الى الاجابة عن تلك التساؤلات الملحة..

ارساء تجهيزات البنية الاساسية

انجزت المملكة في مدى خمس عشرة سنة فقط ارساء تجهيزات البنية الاساسية للنمو الاقتصادي، والتطور الاجتماعي وعلى سبيل المثال:

شبكات الطرق والاتصالات

لقد فطنت قيادتنا الرشيدة بحكمتها البالغة الى ان انشاء شبكات من الطرق البرية السريعة والطويلة لربط اجزاء المملكة ببعضها البعض - وهي اجزاء متباعدة بحكم اتساع رقعة المساحة الجغرافية للمملكة - (اكثر من مليوني ميل مربع) يشكل عصب الحركة الاقتصادية والتجارية المنشودة، فليس من الحكمة ان نقيم مصنعا في الشرق قبل ان نوفر لانتاجه وسيلة الانتقال السريعة الى الغرب او الشمال او الجنوب..

ولهذا انفقت الدولة بسخاء على انشاء مثل هذه الشبكة من الطرق وتم انجاز ما يزيد على الثلاثين الف كيلو متر من الطرق البرية السريعة والحديثة وهو رقم لا مثيل له في دولة من دول العالم الثالث كله..

ولما كان من غير المنطقي ان نقيم المزارع في منطقة كالقصيم - على سبيل المثال - دون ان نوفر الطرق من هذه المزارع لايصال منتجاتها الى اسواقها في مناطق المملكة الاخرى للاستهلاك او التخزين، فقد عمدت الدولة الى انشاء شبكة اخرى من الطرق الزراعية بلغت اطوالها اكثر من ٤٤ الف كيلو متر...

وليست الطرق البرية وحدها هي وسيلة النقل او وسيلة الاتصال بين اجزاء المملكة وابنائها، ولهذا عمدت الدولة الى انشاء شبكة اخرى من الاتصالات الهاتفية وصلت طاقتها الان خلال الخمس عشرة سنة الماضية الى زهاء المليون خط هاتفي وهو ايضا رقم لا مثيل له في دولة من دول العالم الثالث كله..

وفي مجال النقل والمواصلات، والاتصالات فان الدولة انشأت ايضا في مختلف مناطق المملكة شبكة خطوط جوية داخلية، تبدأ وتنتهي من والى ٢٢ مطارا جويا ذات مواصفات عالية لاستقبال اضخم طائرات النقل الجوي للركاب وللبضائع..

وفي نفس المجال ايضا - مجال النقل والمواصلات - انشأت الدولة خمسة موانيء بحرية صممت على احدث المواصفات العالمية وذات كفاءات عالية لاستيعاب حركة النقل البحري المتعاظمة الى ومن المملكة، وهي موانيء - جدة الاسلامي، والملك عبد العزيز في الدمام، وينبع البحر، ورابغ، وراس تنورة..

تسهيل الوصول الى مواقع العمل

وكان اعطاء الدولة الاولوية لهذا القطاع ذي الصفتين الانمائية والخدمات، دليلا على حكمة القيادة، وبعد نظرها السياسي ووضوح رؤيتها لاهدافها الاقتصادية المرسومة. اذ ادى انجاز هذه الشبكة الضخمة من وسائل النقل والمواصلات والاتصالات الى تسهيل انتقال المعدات والاليات ومواد البناء والتشييد، والقوى العاملة الوطنية والاجنبية الى مواقع العمل التي يتم فيها بناء المنشآت الاقتصادية الرئيسية والمرافق المساندة لها، وهكذا انطلقت حركة البناء والنماء، ومسيرة التطور والتقدم..

نشر التعليم ومجانيته في جميع المراحل

ان الترتيب الكيفي للمتطلبات الاساسية سواء بالنسبة للتنمية الاقتصادية، او الخدمات الاجتماعية اظهر حكمة القيادة الرشيدة في اعطاء التعليم الاولوية بعد شبكة النقل والمواصلات والاتصالات لانه بدون هذه الشبكة ما كان يمكن للدولة ان تسرع بنفس ذلك المعدل العالي من تحقيق نشر مرافق التعليم في مختلف مدن وقرى مناطق المملكة، فبفضل وفرة وسائل النقل والمواصلات تم بناء اكثر من ١٤ الف مدرسة من مختلف المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية اضافة الى مئة معهد وكلية متخصصة.. وسبع جامعات متكاملة بها اكثر من ٦٠ كلية تدرس زهاء ٤٠٠ تخصص علمي حديث..

ولم يكن انجاز الدولة لهذا الكم الهائل من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات وارتفاع عدد الطلاب والطالبات بها الى اكثر من مليونين من ابناء وبنات الوطن، لم يكن هذا هو الاعجاز الدال وحده على حكمة القيادة وقدرتها الفائقة في مجال تلبية احتياجات الوطن والمواطنين وانما كان الاعجاز الذي لا يزال ماثلا هو في (مجانية) حق التعليم في جميع مراحله من الابتدائي الى الجامعي والى ما فوق الجامعي..

ومجانية التعليم في المملكة ليست شعارا سياسيا او اجتماعيا فارغا وانما هو عملي وحقيقي وواقعي وهو امر نادر - ان لم يكن معدوما - على المستوى العالمي.. فقلما نجد مثالا اخر في كل دول العالم من حولنا لمجانية حق التعليم بجميع مراحله كما هو الحال في المملكة، رغم ارتفاع تكاليف التعليم نفسه سواء في ناحية مواد بناء المرافق التعليمية او في ناحية توفير الادوات المدرسية والجامعية، وتوفير الكفاءات العلمية المتميزة من مدرسين واساتذة علوم عليا..

الرعاية الصحية والخدمات الطبية

الانسان بلا عافية ، هو الانسان بلا قوة، وبلا قدرة، تلك - فيما يبدو لي - هي قناعة قيادتنا الرشيدة التي جعلت من عافية الانسان السعودي وقوته وقدرته احد همومها الملحة، واحد اهتماماتها الاساسية، فلطالما اكد جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى في كل مناسبة وطنية على حقيقة الحقائق من جهود الدولة وهي ان الانسان هو هدف التنمية وهدف الخدمات التي توفرها الدولة.. وانه هو نفسه اداة هذه التنمية.. وهذه الخدمات يحققها بعافيته البدنية، والروحية والنفسية والعقلية، مثلما يحققها بقدرته وكفاءته العلمية..

ولهذا حققت الدولة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية اعجازا باهرا في مجال الرعاية الصحية والخدمات الطبية للمواطنين حتى وصل كم المرافق الصحية، والطبية الى اكثر من ١٢٠ مستشفى مركزي.. واكثر من ١٢٠٠ مستوصف. كما وصل كم الطاقات الطبية والفنية العاملة في هذا القطاع الحيوي - كما قال المليك القائد فهد بن عبد العزيز المفدى في خطابه الضافي اول امس - وصل كم الطاقات العاملة في قطاع الخدمات الصحية والطبية الى ١٤ الف طبيب، يخدمون اكثر من ٢٦ الف سرير في مستشفيات ومستوصفات المملكة.. وغني عن القول ان هذا الكم الهائل سواء في عدد المرافق الصحية والطبية او في عدد الاطباء العاملين بها لا مثيل له في دولة من دول العالم الثالث، ويضاهي ما يوجد في كثير من الدول المتقدمة في هذا المجال الحيوي..

خدمات مياه الشرب والمجاري

واستمرارا لاتصال حلقة الاهداف في مجال التنمية والخدمات جاءت خدمة المواطنين في مجال توفير مياه الشرب في مقدمة اهداف الدولة التي تعد دولة صحراوية الطبيعة في معظم اجزائها وتندر فيها مواد المياه الصالحة للشرب، ولهذا حققت الدولة في مجال توفير مياه الشرب انجازا اعجازيا بانشاء اكثر من ٢٢ محطة لتحلية المياه المالحة من البحر الاحمر، ومن الخليج العربي، وصل انتاجها اليوم بعد خمس عشرة سنة من تطوير هذا القطاع الى اكثر من ٥٠٠ مليون جالون ماء وهو رقم وضع المملكة بدون منازع في مرتبة الدولة الاولى في كل العالم انتاجا للمياه المحلاة لشرب الانسان والحيوان، حيث وصلت المياه الى عمق الصحراء الى وسط المملكة عبر واحد من اضخم خطوط نقل المياه في العالم يمتد مسافة ٤٦٠ كيلو مترا من شرق المملكة حتى عاصمتها الرياض في قلب الوسط..

وازاء هذا الانجاز الباهر، يمكن القول ان كثيرا من الدول في العالم تتوفر بها موارد لا تنضب من المياه العذبة، بل ان بعضها يجري فيه العديد من الانهار، قد فشل في توفير مياه الشرب لمواطنيها في بعض اجزائها النائية، في حين ان المملكة استطاعت بحكمة قيادتها وصحة سياساتها ان توفر مياه الشرب العذبة لكل مواطن في اي منطقة قربت او نأت من ارض المملكة وهذا يظهر قيمة هذا الانجاز، ويضعه في مرتبة الاعجاز الذي يضرب به المثل على المستوى العالمي..

الاسكان العصري الحديث

ويقينا ان قناعة قيادتنا الرشيدة هي ان الانسان الذي ينعم بحق التعليم المجاني، وبحق العلاج المجاني، ويهنأ برخاء العيش اكلا وشربا لا يمكن ان يعيش في العراء، او ان يعيش ببيت لا يتناسب مع درجة رقي حياته المعيشية مستواه التعليمي والصحي فكان لا بد من توفير السكن العصري الحديث له، وتوفير كل مستلزمات الحياة العصرية في مثل هذا السكن..

وهكذا انجزت الدولة بناء ٥٥٠ الف وحدة سكنية بجهد حكومي عدا ما تم انجازه من قبل القطاع الخاص والمواطنين بجهود ذاتية او بقروض من الدولة عن طريق صندوق التنمية العقارية..

ووفرت الدولة لهذه المساكن الطاقة الكهربائية اللازمة للاضاءة وللاستخدامات الاخرى في الحياة اليومية وتلبية من الدولة لهذه الحاجة الضرورية ارتفعت بمستوى انتاج الطاقة الكهربائية خلال الخمس عشرة سنة الماضية من ٤٠٠ ميجاوات الى ١٤ الف ميجاوات، واصبح اكثر من ٨٠٪ من سكان المملكة يحظون بالخدمات الكهربائية وهي نسبة يندر ان نجد لها مثيلا في دول العالم الثالث كله..

وليس الاسكان وحده الذي يحظى بخدمات الكهرباء لاغراض الحياة العصرية المختلفة، بل ان المرافق الاقتصادية الانتاجية كالزراعة، والصناعة والخدمات ذات العلاقة المباشرة بحياة الناس اليومية وجدت كفايتها بل وما هو فوق كفايتها من الطاقة الكهربائية..

ثم الانطلاقة الانمائية الانتاجية

وهكذا نلاحظ ان الدولة حققت خلال سني الخطط الخمسية الثلاث وهي خمس عشرة سنة انجاز تجهيزات البنية الاساسية للانطلاقة الانمائية الانتاجية لبناء اقتصاد وطني قوي وقابل للنمو والتطور الذاتيين..

وهكذا - ايضا - حققت ما يشبه المعجزات في مجال التنمية الاقتصادية الانتاجية بعد ان قبلت قيادتنا الرشيدة كل تحديات التنمية المحسوبة وغير المحسوبة، وعالجت ازالتها والانتصار عليها بالحكمة وحسن الادارة ودقة التخطيط، وسلامة التطبيق وصحة التنفيذ، ونسوق الامثلة على النحو التالي وبايجاز شديد:

في مجال التنمية الزراعية

في مجال التنمية الزراعية قبلت المملكة ذلك التحدي القائل بان ارض المملكة اما صحراوية رملية واما جبلية صخرية... غير قابلة لاستحداث قاعدة زراعية ناجحة بالمعنى الاقتصادي والتجاري للنجاح الزراعي..

وكأنما اورى هذا التحدي زناد الارادة الوطنية الحرة، فزادها تصميما على قبول التحدي بل واحراز الانتصار عليه..

وخططت قيادتنا الرشيدة وفي مقدمتها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى بحكمتها ودقة تصوراتها لاهدافها من الزراعة، خططت لتوظيف المال والطاقات والمعطيات التقنية المتطورة في المجال الزراعي لتحقيق الهدف المنشود وهو استحداث زراعة وطنية تصل بالدولة الى درجة الاكتفاء الذاتي من اكثر السلع الغذائية حيوية واستراتيجية وفي مقدمتها القمح كغذاء رئيسي للانسان السعودي.

وبدون اسهاب نقول ان المملكة حققت خلال خمس عشرة سنة فقط نصرا زراعيا لا مثيل له سواء في الدول النامية او الدول الكبرى المتقدمة.. ففي حين نجد ان دولة عظمى مثل الاتحاد السوفيتي ما زالت تستورد كميات هائلة من القمح الامريكي لسد النقص في انتاجها المحلي من الزراعة.. رغم طول الممارسة في الحقل الزراعي عبر نشأة الدولة السوفيتية قبل اكثر من ٦٠ سنة مضت، نجد ان المملكة وخلال خمس عشرة سنة فقط حققت النصر المعجزة، واحالت الارض الصحراوية الرملية والصخرية الى واحات تزهى بالخضرة الندية الروية..

نجد ان انتاج القمح قفز من ٣٥٠٠ طن سنة ١٣٩٤هـ الى مليون و٣٠٠ الف طن في سنة ١٤٠٥/٤٠٤هـ متجاوزا - الانتاج - حاجة الاستهلاك المحلي الى توفير فائض لا يقل عن مائتي الف طن يمثل احتياطيا استراتيجيا يمكن تصدير جزء كبير منه للاسواق الخارجية..

■ وواكب الانتصار في انتاج القمح انتصارات مماثلة في انتاجات اخرى كاللحوم الحمراء، والبيضاء، والبيض والالبان ومشتقاتها التي عرفت طريقها الى الاسواق الاقليمية والدولية بعد تحقيق الاكتفاء الذاتي للاستهلاك المحلي..

وخلال خمس عشرة سنة فقط وزعت الدولة من الاراضي الزراعية حتى السنة المالية ١٤٠٥/٤٠٤ هـ نحو ٥٦٠ الف هكتار من الاراضي على ٣٨ الف مزارع في ١٥٠٠ مشروع زراعي متخصص وعشر شركات زراعية كبرى..

وفي مجال التنمية الصناعية

وتحقق الدولة نفس الانتصار الباهر في المجال الاخر من التنمية الاقتصادية وهو مجال الصناعة الوطنية الحديثة والمتطورة..

وكما قال جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى في خطابه الضافي اول امس.. فانه توجد الآن وفي المملكة اكبر واحدث مدينتين صناعيتين في كل العالم النامي والمتقدم وهما مدينتا الجبيل وينبع ذات الصناعات الاساسية الثقيلة والثانوية والمساندة، والتي فتحت الافاق امام المملكة لدخول عصر صناعة البتروكيماويات، وذلك بتصنيع الزيت الذي كان يصدر كمادة خام طيلة السنوات الخمس عشرة الماضية..

ويوجد بالمملكة الآن اكثر من ١٦٥٠ مصنعا عاملا ومنتجا بجهود القطاع الاهلي الذي دعمته الدولة وشجعته على خوض غمار الصناعات الحديثة.

ويكفي ان نشير الى ان مبيعات منتجات هذه المصانع الوطنية خلال السنة المالية ١٤٠٥/٤٠٤هـ نافت على العشرين الف مليون ريال مما يدل دلالة قاطعة على ان الانتاج الصناعي المحلي اخذ يغطي مساحات متسعة من السوق المحلية ويلبي احتياجاتها من هذه المنتجات الصناعية العالية الجودة وفق مواصفات قياسية عالمية معترف بها..

حجم التكلفة المالية خلال ١٥ سنة

ونلتفت الى جانب الانفاق المالي الذي بذلته الدولة بسخاء من اجل بناء البنية الاساسية للنهضة الاقتصادية والاجتماعية، التي اوصلتنا الى ما نحن عليه الآن من تطور وتقدم واستمرارية في مسيرتنا نحو افاق ارحب من النمو والقوة والازدهار، فنجد ان ما انفقته الدولة خلال خمس عشرة سنة على ذلك كله وصل الى الفي بليون ريال..

ومن هذا المبلغ نجد ان ١٨٩ بليون ريال انفقت فقط على اعانات الدعم والمساندة والمساعدة لتشجيع استمرارية الجهود البناءة في مجال التنمية والخدمات.

التطلع الى المرحلة القادمة بعزيمة وثقة

في ضوء ما تقدم ندرك مدى صدق وقوة معاني الكلمات البسيطة التي قالها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز في خطابه امس الاول وهي قول جلالته (اننا نتطلع الى المرحلة القادمة من حياتنا بعزيمة وثقة..

فلقد نجحت دولتنا النامية الناهضة وبفضل من الله تعالى ثم حكمة قيادتنا الرشيدة في حل طلاسم المعادلة الاقتصادية الصعبة التي اعيت دهاقنة علوم الاقتصاد السياسي، وهي معادلة التنمية والخدمات.. وبهذا النجاح تحررنا دولة وشعبا من قيود التخلف، ومن الخوف من المستقبل واصبحنا على اعتاب عهود جديدة من الازدهار الحضاري.. بعد ان اخذت مسيرتنا الوطنية في التقدم بثبات واطمئنان على طريق المستقبل الاكثر اشراقا، والازهى ازدهارا..

التزام المنهج الاسلامي وحلوله

الآن فقط يمكننا ان نعود الى تلك التساؤلات الملحة التي تشغل بال كثير من زعماء وحكومات وشعوب دول العالم حول سر او اسرار هذا التفرد السعودي بايجاد حلول عملية ناجحة لمعادلة الاقتصاد الانمائي والاستهلاكي الصعبة وتفوقها على الاخرين في تكريس الرخاء والامن والسلام والاستقرار، وصحة المجتمع وعافيته..

ونقول ببساطة متناهية ما قاله ويقوله جلالة المليك القائد فهد بن عبد العزيز المفدى في كل مناسبة داخلية وخارجية وهو ان سر الاسرار في هذ النجاح وهذا التفرد به وهذا التفوق على الآخر انما هو في التمسك بالعقيدة الاسلامية السمحة، والتزام منهجها القويم والاخذ بحلولها العملية لجميع المشكلات والمعضلات.

ان التمسك بالعقيدة الاسلامية والتزام منهجها، والاخذ بحلولها لم يكن اختيارا يخضع لمنطق التجربة المرهونة بالنجاح او الفشل وانما كان وسيظل قدرا لنا ملكا وحكومة وشعبا، ونستمد القدرة على الاستمرار به ومعه في حياتنا من ايماننا العميق الوثيق بالله ثم بالشريعة الاسلامية السمحة كما جاء بها القران الكريم والسنة الشريفة المطهرة..

ولقد اثبتنا لكل العالم من حولنا بما حققنا من نجاحات وانتصارات ان الشريعة الاسلامية الكاملة هي شريعة كل زمان وكل مكان وان من اهتدى اليها فقد افلح ونجا وان من ضل عنها فقد فشل وهلك..

زادنا الله تعالى ايمانا به ثم تمسكا بعقيدة دينه، واقتداء بسيرة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام، وحفظ لنا مليكنا القائد فهد بن عبد العزيز المفدى وسمو ولي عهده الامين، وسمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء.. وهنيئا لشعبنا الطيب بقيادته الرشيدة وبما حققته من رخاء وامن وسلام واستقرار ونمو وتطور باستمرار.

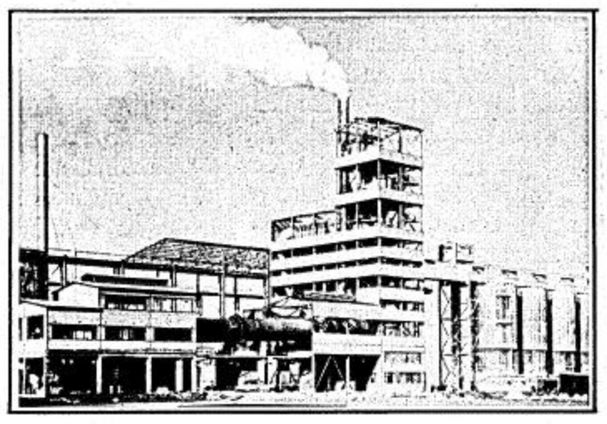

□ صناعة □

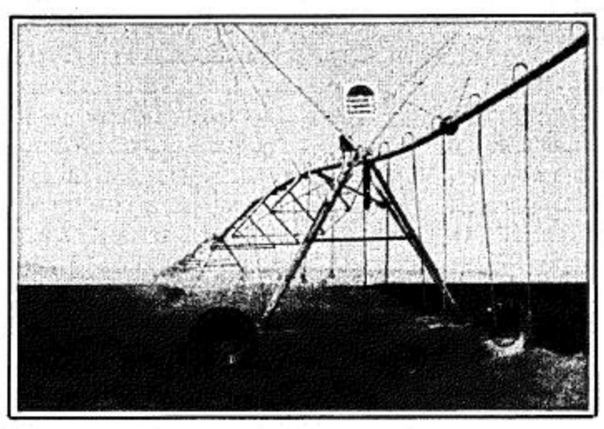

□ زراعة □

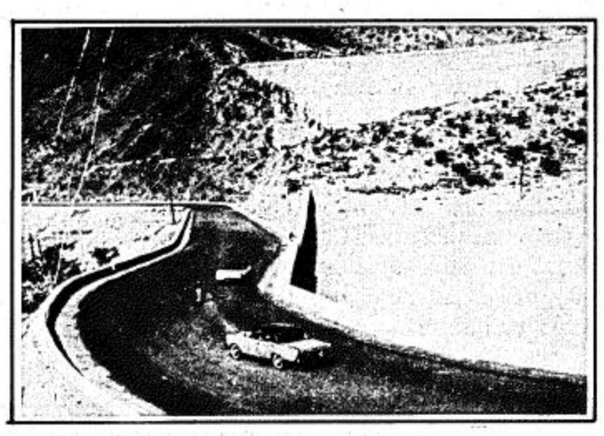

□ طرق □

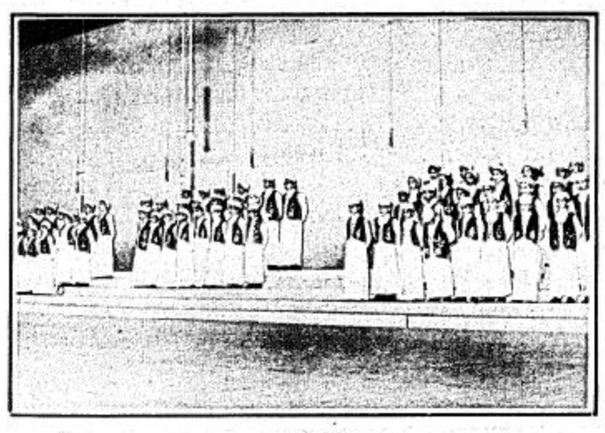

□ تعليم □